



HAL
open science



ترجمة النص التراثي
قصور اللغة جنوح المترجم
رسالة "أيها الولد للغزالي" نموذجاً

مداخلة
د. حسام سباط - جامعة الجنان

في المؤتمر الذي تنظمه مدرسة الترجمة في بيروت
جامعة القديس يوسف
2-3 كانون الأول 2010

مقدمة:

الترجمة ذاك العطاء الحيي الخجول، وجود عبره المترجم بعصارة فكرة و خلاصة ذوقه وأدبه. يجتهد في الفهم ويدقق المعنى ثم يختار اللفظ الألفظ، الأدق والأجمل ليقدّمه للمتلقّي بما يُرضي فهمه وذوقه. وهيئات هيئات! .. إن رضى النفوس غاية لا تدرك. وبالرغم من ذلك ينظر البعض إلى الترجمة على أنها معادلة كيميائية، أو عصا سحرية، وجب عليها نقل الألفاظ والمعاني من لغة إلى أخرى بلمسة واحدة، وبما يستجيب لطموح القارئ الهدف، ويُشبع حاجته وهواه، دون أن يمس ذلك بحق أو ربما بغيرور الكاتب صانع النص المصدر الذي يريد حفظ نتاجه الأدبي، ويخشى تحريف رأيه، أو تشويه أسلوبه، وطمس بيانه وإبداعه.

وكثيرون لا يدركون أن الترجمة بذاتها فن، كما أنها اليوم علم له قواعده وأسسها ومناهجها، والمترجم فنان له كيانه وشخصيته العلمية والأدبية. وهو يعيش في تعامله مع النصوص معاناة حقيقية بين دفة الكاتب وسندان القارئ. فهو من جهة كاشف عن المعاني التي يريدّها الكاتب أو الشاعر أو المتحدث (يُفترض) أن يعرف كُنه مراده، وخفايا تفكيره، ومضمرات عباراته، كما أن عليه بعد كل هذا - وعندما يقوم بنقل ما توصل إليه بعلمه وحسه وإدراكه - أن ينقله إلى المتلقّي بما يوافق قدرته الفكرية، و حذارِ هنا من أي خطأ. فالقارئ الهدف يجب أن يفهم بلغته ب B ما أراده الكاتب وعبر عنه بلغته أ A . بما تتضمنه العبارة والإشارة، فاللغة الهدف ينبغي أن تستجيب لصور ومضامين اللغة المصدر.... وإلا فالحق كل الحق على المترجم قاصر الفهم لذاته، أو المقصر في إفهام غيره، أو كلاهما معاً، مع أن اللبيب من الإشارة يفهم (هكذا يتصورون) . والذي يغيب عن أذهان الكثيرين أن الكُتاب ليسوا على درجة واحدة في القدرة على التعبير، كما أن النصوص تختلف أصنافها العلمية، وفنونها الأدبية، ومستوياتها الفكرية.

كل هذا فيما يتعلق بلغة عصرنا ويومنا، محكية كانت أو مكتوبة، فكيف إذا تعلق الأمر بترجمة نص مضت عليه أزمنة غابرة قد تصل إلى أحد عشر أو اثني عشر قرناً أو أكثر. حيث تظهر عوامل جديدة على المترجم أن يتعامل معها، منها أولاً: غرابة بعض الألفاظ التي هُجر استعمالها لسبب أو لآخر. تغيير استعمال ألفاظ أخرى وتحولها من حقيقة لغوية إلى عرفية أو اصطلاحية، السياق الزماني والمكاني

والاجتماعي للنص المترجم، ومضامينه من حيث دلالة العبارة، والإشارة، والاقتضاء، وواقع الحال والمعنى المضمرة، وأسلوب الحكيم، والمعنى الذي هو في نفس الشاعر، والعبارة يراد أن تكون ساحرة أو ساخرة أو مضحكة أو مبكية إلخ.. وقد يحمل النص جملة بلغة أخرى غير اللغة المصدر، أو اسم مدينة اندثرت معالمها وغاب ذكرها واختفت عن الخارطة منذ دهور خلت، أو وصفة دواء لم يعد يسمع بها أحد من أيام ابن سينا أو تلاميذ ابن البيطار... وهكذا. هذا في المضمون، أما في الشكل فإن إخراج النص المترجم بما يماثل النص الهدف من حيث الانسيابية والجمالية وتلون أساليب البديع مع البعد الزماني والمكاني أمر هو الآخر بحاجة إلى تعويذة ساحر. والسؤال الذي يطرحه الجميع الآن.. كيف يتعامل المترجم مع هكذا نصوص؟ وما حال من سبقنا إلى ذلك؟ تكلم أيها الأحبة قصة ترجمة النص التراثي التي سأحاول أن أختصرها، بما يسمح به الوقت فأقول:

- مفهوم التراث.

إذا كان الحضور الكريم غني عن تعريف الترجمة، فإني أتوقف قليلاً لأتحدث عما أريد بكلمة تراث وهو " كل نص مكتوب أو مقروء، نثراً أو شعراً، مضى على إنشائه قرن من الزمان فأكثر، تتداوله الألسن حفظاً في الصدور ، أو تنتقله الأجيال كتابة على أي وسيلة كانت ". وأنبه هنا إلى عدم الخلط بين النص التراثي والنص الديني، ذلك أن مجالات النص التراثي أعم بكثير من النص الديني، وبينهما علاقة عموم وخصوص. فكل نص ديني مضى عليه قرن أو أكثر هو نص تراثي، وليس بالضرورة أن يكون النص التراثي دينياً. فكم في مخزوننا العربي من نصوص تراثية تعنى بجانب الطب والصيدلية والأدب والتاريخ والتراجم وغيرها.

التراث بين النقد والتقديس وأثر ذلك في ترجمته:

ولا شك أن النظر بقديسية إلى النص التراثي سيؤثر كثيراً في أسلوب ترجمته. فالذي يتعامل مع نص يؤمن بقداسته يتردد كثيراً في اعتماد الترجمة التفسيرية عندما يقوم بنقله إلى لغة أخرى. وتجده مضطراً إلى الجمود حول الفهم الخاص لهذا النص ضمن دائرة شرّاحه ومقدّسيه. أما من نظر إليه كعمل أدبي أو فكري يستحق الاحترام لا التقديس: فيجد راحة أكثر في ترجمته وتفسيره أو تبسيطه، وفق الوظيفة التي يريد لها، أو الجمهور الذي يتوجه إليه به، بما يجعله يوسع دائرة بحثه وعمله، في الحدود التي يتيحها الوفاء للنص الأصلي.

" الترجمة في حقيقتها قراءة لفكر وحضارة وتاريخ، كما أنها تجسيد لوعي نقدي، ونقل لبني اللغة العميقة والسطحية " ¹.

- البعد الاجتماعي اللغوي.

والنصوص التراثية وعاء فضفاض تحمل في ثناياها خصوصيات ثقافية، ومضامين حضارية، وقضايا فكرية واجتماعية. وهي مرآة عاكسة للمجتمع الذي ولدت فيه، تكشف عما يجول فيه من أحداث، وما يشهده من تفاعلات وتغيرات. وعلى تنوع الأساليب اللغوية التي صيغت بها، وتباين مستوياتها الجمالية والفكرية، تبقى لغة النص التراثي بالنسبة للمترجم لغة جامدة توقف نموها مع خروج النص إلى الملاء ولا سبيل لأي تبديل أو تغيير فيها. أما لغة الترجمة؛ فتبقى حية، نابضة، متجددة، مفعمة بالحيوية، تواكب التطور المعرفي، واللغوي، والحضاري، والاجتماعي، لتوصل للقارئ مضمون النص التراثي القديم بلغة ومنطق وفهم العصر الذي يعيشه. من هنا كانت إعادة ترجمة النصوص التراثية الهامة من القضايا الأساسية التي ينبغي الحرص عليها ومتابعتها بين فترة وأخرى. وإذا كانت العبارة الشائعة تقول: "إذا خرج الكتاب من المطبعة دخل التاريخ"، فإني أسمح لنفسي أن أقول: "إذا خرج المخطوط من يدي كاتبه دخل التاريخ أيضاً".

- إعداد النص للترجمة.

على المترجم للنص التراثي أن يقوم بدراسة متأنية يستعرض فيها نوع النص، هل هو ديني أم أدبي أم تاريخي.. إلخ، ثم يحاول أن يتعرف على الكاتب: بيئته، عصره، الأحداث الفكرية والأدبية والسياسية التي واكبها، ومدى تأثيره بها، ثم يتبين مذهبه الأدبي أو الفكري، اتجاهه السياسي، أسلوب الكتابة الذي عرف به، الغاية من تأليفه، موقعه في نتاج مؤلفاته. كما يجب أن لا يجرد العمل من سياقه، فعليه أن يربط بين النص وكاتبه ومجتمعه. ثم يدرس وعاء النص وهو في الغالب "الكتاب" الذي حُط فيه من خلال: أ - مخطوطاته، ليتأكد من نسبة النص إلى مؤلفه وسلامته من السقط أو الطمس أو

¹ حورية الخمشيلي، النص العربي بين الترجمة والتأويل، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، <http://www.atida.org/makal.php?id=173>

التحريف والتبديل.

- ب - طبعاته المتعددة إن وجدت، ليستفيد من التعليقات الواردة عليها، ويحاول المقارنة بينها ليثري معارفه الخاصة بالنص.
- ج - الدراسات السابقة التي تناولت الكتاب بالشرح أو النقد أو التلخيص أو المقارنة. ليستفيد منها في فهمه له، والتنبه إلى الملاحظات الواردة عليه.
- د - ترجماته إلى لغة أخرى غير اللغة التي يعمل عليها المترجم.

ثم يقيس بعد ذلك كله قدرته على ترجمة العمل من حيث الكفاءة التخصصية واستجابة اللغة الهدف لطبيعة النتاج الترجمي الذي يطمع إلى إيجاده، ويدرس الاستراتيجية الترجمية التي ينبغي عليه اعتمادها بناء على نوع النص أولاً؛ وليحرص على أن تصمم الترجمة: " على أساس الاكتفاء بنفسها، ولا ينبغي أن تكون شرحاً ساذجاً للنص، ولا ترجمة حرفية له. ومع ذلك فلا يتردد - عندما تستدعي الضرورة - في أن يضيف بين قائمتين الكلمة أو الكلمات التي لا يستغنى عنها في تصحيح الجملة الفرنسية، أو في فهمها"².

ثم الجمهور المستهدف بعمله الترجمي ثانياً. فلكل جمهور لغته، ومستواه الفكري والثقافي. ففي " الكتب التي لا تتوجه فقط إلى المختصين، يُترجم كل ما يمكن ترجمته من غير تحريف فكرة المؤلف. ويجب على المترجم - خلافاً لمبدأ الترجمة نفسه - أن يتخلى عن عادة كتابة كلمات عربية ليس بإمكانها أن تمثل شيئاً في ذهن القارئ.... فالأولى ترجمة المصطلحات التقنية حتى يمكن جعلها مفهومة للجميع، وذلك باستعمال كلمات فرنسية مقابلة"³.

"أيها الولد" للغزالي نموذجاً.

- "أيها الولد" للغزالي.

رسالة كتبها الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة 505 هـ 1111م والذي ذاع صيته في بغداد ثم في أرجاء العالم الإسلامي في العصر العباسي، ويراه الكثيرون إلى الآن

² رجبية بلاشير، جان سوفاجيه، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها - وجهة نظر الاستشاري الفرنسي، ترجمة محمود المقداد، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1988، ص.66.

³ المصدر نفسه، ص. 68.

من أهم مفكري الإسلام السني حتى قال بعضهم في كتابه "إحياء علوم الدين" بالنظر إلى سعة انتشاره، وعمق تأثيره في الوجدان الشعبي: "كاد الإحياء أن يكون قرآناً".

والرسالة نص جواب الغزالي لأحد مريديه كتب إليه "استفتاء وسأله مسائل والتمس نصيحة ودعاء.... في ورقات تكون [معه مدة حياته، ويعمل بما فيها مدة عمره] 5⁴.

وهي مطبوعة محفوظة متداولة إلى الآن، وتحظى بانتشار واسع. حُقت وشرحت وطُبعت مراراً، وآخر ما اطلعت عليه الطبعة التي شرحها وحققها علي محيي الدين القره داغي، ونشرتها دار البشائر في بيروت عام 2005.

لغة الغزالي:

وتمتاز كتابات الغزالي بلغتها القوية حيث تتدفق المعاني بزخم وانسيابية لافتين، مع ثراء بالمفردات المفعمة بالصور البيانية دون تكلف أو تمحل. ويعد نص الرسالة قريباً جداً من الرسائل الوجدانية التي تحمل هدفاً توجيهياً تربوياً يجمع بين طيَّاته تعاليم تدعو إلى تهذيب النفس وتركيتها، جامعاً في الوقت نفسه بين دقة الفقه وانضباطه بالأصول، وبين سعة التصوف وسياحته في عالم الأرواح وأعمال القلوب. وهو أسلوب السهل الممتنع الذي عرفت به مؤلفاته بشكل عام.

الترجمة إلى الفرنسية:

أما الترجمة إلى الفرنسية والتي نحن بصدد استعراض بعض ما جاء فيها فقد قام بها الدكتور توفيق الصباغ مدير عام وزارة التربية الوطنية في الستينات، والحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة باريس عام 1943 عن أطروحته المعنونة: La métaphore dans le Coran⁶ وقد صُدّرت ترجمة أيها الولد بمقدمة لـ: George Scherer وترجم التقديم إلى العربية د. عمر فروخ، وإلى الفرنسية Mme Bianquis في حين راجع العمل كل من: Henri Laoust, Jean Gaulmier et Vincent Monteil وقام بنشره اللجنة اللبنانية

⁴ في الأصل: تكون معي مدة حياتي، وأعمل بما فيها مدة عمري

⁵ رسالة أيها الولد للغزالي، ترجمها إلى الفرنسية: توفيق صباغ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، المكتبة الشرقية بيروت، ط 3، 1969، ص ص. 3-4
⁶ La métaphore dans le Coran, Université de Paris, 1943, Edité à Paris par Adrien Maisonneuve sous le même titre, 1943, XI+272 p.

لترجمة الروائع برئاسة أدمون رباط ، وقد صدرت الطبعة الأولى عام 1951 لدى Maisonneuve, Beyrouth et Paris وكان عنوان الرسالة بالفرنسية: O jeune homme، الطبعة الثانية عام 1959، الطبعة الثالثة عام 1969 حيث تولت المكتبة الشرقية عملية الطبع والإخراج وصدرت الرسالة بعنوان جديد هو: Lettre au disciple وعلى هذه الأخيرة نعتمد. وقد وُضع النص الفرنسي مقابل النص العربي، وخرجت الترجمة في 57 صفحة بدون المقدمات والفهارس ، مما يدل على رصانة العمل ومهنيته وهو ما نفتقده في كثير من ترجمات هذه الأيام.

والذي أثار استغرابي أن المترجم لم يتحدث ولا بكلمة واحدة عن منهجه أو أسلوب عمله في نقل النص إلى الفرنسية، باستثناء ملاحظة واحدة ذكرها في الصفحة الأولى من الترجمة أشار فيها إلى أنه سيحذف كل عبارات الثناء والتمجيد من النص:

“Nous indiquons une fois pour toutes que nous supprimons toutes les formules d’eulogie ».

ولم أتبيّن الدافع لذلك سوى الرغبة في الاختصار. علماً أن عبارات الثناء هذه لها قيمة علمية لا تخفى، فهي تساهم في التعرف على مرتبة الشخصيات المذكورة في النص، إذ أن لكل مرتبة عبارة ثناء خاصة.

حتى المقدمة التاريخية التي صدرت بها الرسالة لم يقم المترجم بكتابتها كما رأينا. وأصبح علينا أن نحاول استكشاف منهجيته بأنفسنا من خلال قراءة متأنية للنصين باللغة الأم، ثم باللغة الهدف. ولقد قمت بهذه القراءة التي وجدتها لطيفة وممتعة، ومما سهّل علي العمل طريقة تنضيد النصين حيث كانت الفقرات المترجمة تقابل مثيلاتها باللغة المصدر في صفتين متناظرتين، ولا شك أنها طريقة مفيدة جداً لطلاب الترجمة.

ومما تضمنته المقدمة التاريخية: أهم المحطات في حياة الغزالي: رحلته الروحية، فلسفته، تصوفه، مؤلفاته، وخُتمت بجدول زمني مقارن لأهم الأحداث التاريخية في الشرق الإسلامي وفي أوروبا، وقد هدفت هذه المقارنات التاريخية إلى تعريف القارئ الفرنسي بأهم الأحداث التي واكبها الغزالي في الشرق مع ذكر ما كان يجري في الفترة نفسها في الغرب.

وهنا تطرح إشكالية هامة في ترجمة النص التراثي وهي: هل هذا هو دور المترجم

فعلاً. هل يجب على مترجم النص التراثي أن يقدم له تاريخياً! ؟ نلاحظ هنا أن الترجمات الرئيسية للقرآن الكريم إلى الفرنسية قد صُدرت هي أيضاً بدراسات تاريخية. نستنتج إذاً أن الإحاطة التاريخية للمترجم بالنص المترجم شرط لا بد منه لنجاح الترجمة.

ولم يكف المترجم بالمقدمة وإنما لجأ في أحيان كثيرة إلى استخدام الشروح في الهوامش ليوصل للقارئ المعلومة التاريخية التي يحتاج إليها في فهم النص. وهنا تبرز إشكالية أخرى حول الحاجة إلى هذه المعلومة وإلى حجمها. وقد أثار استغرابي أن السيد صباغ استخدم صفحة كاملة في الهامش تقريباً للحديث عن كتاب إحياء علوم الدين للغزالي⁷.

الملاحظات المنهجية:

خلا النص من أي مقدمة أو خاتمة للمترجم. لم يوضح المترجم المنهجية التي اتبعها في الترجمة، و لم يحدثنا عن أسلوب الرسالة، ولا عن صنفها الأدبي، أو الجمهور الذي اتجهت إليه زمن صدورها. كما أنه أغفل الحديث عن الجمهور الذي أراد التوجه إليه بعمله المترجم، ولا يعيب هذا الإغفال العمل إذا أخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي خرج فيه عام 1951، حيث لم تكن قواعد علم الترجمة الحديث قد ظهرت بعد.

ملاحظات على الترجمة في النص:

الرسالة عبارة عن نص جوابي كتبه إمام فقيه متصوف لأحد تلاميذه المتقدمين. ومن البدهي والحالة كذلك أن تكون مفرداتها ونصوصها على مستوى المرسل والمرسل إليه، وبناء لطبيعة العلاقة العلمية بينهما في مسائل الفقه والتصوف، وهذا يقتضي أن تكون عباراتها ومصطلحاتها منسجمة مع طبيعة هذه العلاقة ومستواها وفي إطارها التخصصي نفسه. وهذا ما على المترجم أن يدركه، وعليه بالتالي أن يُخرج نصاً يندرج في السياق نفسه إذا أراد أن يتوجه به إلى القراء المتخصصين في الفقه والتصوف، ولا أحسب أن هذا هو مراد المترجم أو جمهوره. أما إن أراد أن يتجه بنصه إلى جماهير القراء بالفرنسية فالمهمة هنا أكثر صعوبة وتقتضي شروحات مفصلة لكثير من المصطلحات والعبارات التي يفهم المتخصص مقصودها ويعسر

⁷ انظر ص ص. 4-2.

ذلك على غيره فهناك اختلافات ظاهرة في تعريف كل من النبي والرسول وفي الفرق بينهما، والفتوى ليست مجرد سؤال، وليس كل دعاء ورداً وهكذا... وهنا يظهر دور المترجم، وتفرض الترجمة التفسيرية نفسها، وتترجع الشروح في صدر الصفحات، في حين تبرز الهوامش التفسيرية بقوة فهل سلك د. توفيق الصباغ في عمله هذا المسلك؟

اختار المترجم عنواناً لطيفاً للرسالة في طبعتها الثانية أو الثالثة هو: " Lettre au disciple، رسالة إلى مرید"، وهو عنوان شارح يكشف بوضوح عن مضمون الرسالة، وحسنأ فعل بذلك. كما ظهر على صفحة الغلاف العنوان العربي نفسه بالحرف اللاتيني باعتماد طريقة transcription أسفل العنوان المترجم. وهي طريقة منهجية سوية، أدعو إلى اعتمادها وتعميمها في ترجمة عناوين الكتب.

تبدأ كل فقرة في الرسالة تقريباً بعبارة "أيها الولد". وقد ترجمت في المرة الأولى: «Ô jeune homme» ص.ص. 6-7 - وهو عنوان الطبعة الأولى- ثم ترجمت بعد ذلك في المرات كلها: « Mon fils ! »

اجتهد المترجم في اعتماد الترجمة التفسيرية وفق فهمه الخاص للنص دون مراعاة الخصوصية العقدية لبعض العبارات مما أدى إلى تشويه المعنى الذي أراده الغزالي. فعلى سبيل المثال ترجم: " أيها الولد لو كان العلم المجرد كافياً لكان نداء هل من سائل؟ ..ضائعاً بل فائدة" بقوله: *La voix divine ira crier en vain.* ص.ص. 18-19، والعارفون بعقيدة الغزالي يعلمون انه عنى بالنداء نداء ملك بعينه ولم يرد بإي حال نداء أو صوت الله تعالى، وهي من المسائل الخلافية بين الأشاعرة - الذين ينتسب إليهم الغزالي ويعد من كبار منظريهم - وبين وأهل الظاهر لا مجال للحديث عنها الآن.

- ترجمة بيت شعري مكتوب بالفارسية ص.8، التي كان الغزالي يتقنها وله فيها مؤلفات عديدة، علماً أن نص الرسالة مكتوب بالعربية بشكل كامل.

- ترجمة البسملة نقلاً عن Kasimirski دون الإشارة إلى ذلك.

- ترجمة آيات من القرآن الكريم دون ذكر مصدرها، هل هي نتاج المترجم أم

هي مأخوذة من ترجمة أخرى؟ ولقد تبين لي أنها في معظمها نتاج المترجم مع وجود تشابه كبير أحياناً مع ترجمة Kasimirski كما في: " إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً"⁸ ص. ، حيث ترجمها الصباغ:

« Satan est votre ennemi. Considérez-le comme tel. » ص30. في حين

ترجمها Kasimirski :⁹ "Satan est votre ennemi, regardez-le comme votre ennemi

أو ترجمة Régis Blachère كما في: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً"¹⁰ حيث ترجمها الصباغ: "Celui qui espère se rencontrer avec son Seigneur, qu'il fasse œuvre pie" ص10.

في حين ترجمها Blachère : "Que quiconque espère rencontrer son Seigneur, accomplisse œuvre pie"¹¹.

ويشير هذا التشابه إلى استفادة المترجم من أعمال من سبقه، وهذا لا يقدر في عمله أو ينقص من قدره بأي حال.

- ترجمة بعض شعر الرقاق أو الشعر الصوفي شعراً ص14-15 ، 20-21. بجودة لافتة في الشكل والمضمون.

- ترجمة بعض الألفاظ الاصطلاحية، خاصة أسماء العلوم حيث اعتمد:

علم الخلاف = logique، الدواوين = rhétorique ص.ص. 14-15.

الأخلاق = controverse ، الأصول = sources ، الكلام = théologie

الفقه = jurisprudence ص.ص. 52-53.

ترجمة بعض المفردات بما يجانب الصواب أو المعتمد:

- كتب استفتاءً = lui posa certaines questions ص.ص. 2-3، وكان الأولى أن

يوضح أنه سأل عن الأحكام الفقهية لبعض المسائل حيث لم تكن استفهاماته

مجرد أسئلة عادية.

⁸ سورة فاطر، الآية: 6.

⁹ Le Coran, traduction de Kasimirski, GF Flammarion, Paris, 1970, p. 336.

¹⁰ سورة الكهف، الآية: 110.

¹¹ Le Coran, traduction de Régis Blachère, Maisonneuve et Larose , Paris, 1999, p. 328.

- والتمس نصيحة ودعاء: et le supplia de lui écrire une prière à réciter à des heures déterminées ص.ص 2-3.
هنا جاءت الترجمة بعيدة عن المعنى المراد لأن المرید طلب نصيحة الغزالي ودعاءه له، ولم يسأله أن يرسل له "ورداً" خاصاً يدعو هو به.

- رسول الله = Le prophète de Dieu ص.ص 6-7، والمعتمد أن الرسول هو: le messenger، أي ناقل الرسالة الإلهية le message divin.

ملاحظات على الترجمة في الهوامش:

مما وجدته في هوامش النص المترجم:

- التعريف بالكتب المذكورة في النص ككتاب إحياء علوم الدين، كما في ص.ص 2-4، والملاحظ هو الإطالة غير المبررة في التعريف بالكتاب حيث امتدت إلى أكثر من صفحة كاملة.

- التعريف بالأعلام المذكورين في النص كالجنيد البغدادي ص 8، والحسن البصري ص 12 وهذا الأخير أخذت ترجمته من Encyclopédie de l'islam ككثير ممن ترجم لهم، فيما لم يذكر المترجم مصادر ترجمته لأعلام آخرين ويبدو أنه كان يستقي مصادره في ترجمة الأعلام من EI2 حصراً.

- التعريف بالأدوية كدواء السَّكَنْجَبِين ص 8 حيث ذكر انها كلمة فارسية تعني: "un breuvage composé de miel ou de sucre et de vinaigre" ولم يذكر مصدراً.

- نقل ترجمة بيت الشعر الفارسي إلى العربية قام بها الشيخ محمد أمين الكردي ولم يذكر مصدراً لها، كما أنه لم يعرف بالمترجم، ص 9.

- بعد أن ترجم كلمة حديث ب tradition شرح معنى "الحديث" في اللغة، ثم في الاصطلاح الإسلامي، وبيّن أن المقصود بلفظ حديث في النص هو المعنى الاصطلاحي لا اللغوي. واستند في تعريفه هنا أيضاً إلى Ency. de l'islam، ص 10.

- تحقّق من نسبة نص ذكر الغزالي أنه رآه في "إنجيل عيسى عليه السلام" ونفى وجوده فيه، ص 14. في حين أكّد وجود نص آخر وأشار إلى أنه نص مختلف apocryphe ص. 42.

- تحدث عن شخصية لقمان الحكيم في التراث العربي قبل الإسلام وبعده نقلاً عن Ency. de l'islam ، ص 20.

- بيّن معنى أيام التشريق، وهي الأيام الثلاثة التي تلي يوم الأضحى أي العاشر من شهر ذي الحجة في التقويم القمري، وأغفل ذكر المصدر اللغوي الذي اشتقت منه هذه الكلمة كما لم يشر إلى أي مصدر، ص 22.

- أشار إلى أن ابا حاتم الأصم ولد في مدينة بلخ ولم يعرف بها ولا ادري أية فائدة سيجنيتها القارئ بالفرنسة لهذه الجملة: grand mystique né à Balh ، ص 26.

- بيّن معنى الفرقان وذكر أسماء أخرى للقرآن الكريم دون ذكر أي مصدر.

- بيّن معنى مضمراً ألمح إليه الغزالي ولم يصرح به عن الحسد الذي يلاقيه من بعض معاصريه، وفرّق بين أسلوب الترجمة الذي اتبعه دون أن يسميه، وبين الترجمة النصية عندما أشار في الهامش إلى أن العبارة لو ترجمت حرفياً لأفادت معنى مغايراً: textuellement، ص. 40 ثم ذكر أمراً مشابهاً ص. 42.

- أحال إلى كتاب Les institutions musulmanes, Gaudet-Demombynes وذكر نصاً منه، من أجل التوسع في فهم سؤال الملكين: منكر ونكير الذي أشار إليه الغزالي في الرسالة، ص. 44.

- أحال أيضاً إلى كتاب Les institutions musulmanes, Gaudet-

Demombynes وذكر نصاً منه، من أجل التوسع في فهم معنى الصراط، ص. 46. وكان من المفيد لو ذكر ما يقابلهما في أحداث ما بعد الموت في الديانة المسيحية لانتماء أكثر قراء الفرنسية إليها.

- بيّن ما قصده هو في النص المترجم بقوله: sources، وأشار أنه أراد بها: les sources de la théologie et du droit musulman، ص. 52.

- شرح معنى فرض العين، ص. 52، وفرض الكفاية، ص. 54، ولم يذكر مصدراً.

نظام كتابة الصوامت العربية بالحرف اللاتيني المستخدم في الترجمة le système de transcription:

مما هو شائع في ترجمة نصوص التراث العربي إلى الفرنسية ترك أسماء الأعلام أكانت لأشخاص أم مدن أو عناوين لكتب كما هي دون ترجمة. ويتم كتابتها بالحرف اللاتيني وفق نظام transcription يبيّنه المترجم في بداية ترجمته. وفي العادة يختار النظام من بين الأنظمة الأساسية المعروفة كنظام Encyclopédie de l'islam في إصداريها الأول 1913 والثاني 1960، أو نظام مجلة Arabica، أو نظام حوليات الإسلام لكايثاني،... ويمكن في حالات قليلة أن يضع المترجم نظاماً خاصاً به.

في رسالة أيها الولد - وكعاداته - لم يشر المترجم إلى النظام الذي اتّبعه، وظهر لي بعد تتبع الكلمات العربية التي كتبها بالحرف اللاتيني أنه اعتمد النظام الذي اتبعه المستشرق الألماني كارل بروكلمان في كتابه الشهير تاريخ الأدب العربي. وهو نظام يصعب فهمه على غير المتخصصين حيث تكتب الحاء h، والحاء h، والذال d والصاد s، والضاد d.

الخاتمة:

إن ترجمات كتب التراث العربي إلى الفرنسية أضحت بحد ذاتها تراثاً ثرياً فيه كنوز معرفية وترجمية هامة جداً. فمنذ حملة نابليون على مصر ترجم المئات من كتب التراث العربي إلى الفرنسية. وقد وضعت لهذه الترجمات قواعد ومبادئ وصنفت في طرقها كتب عدة أهمها كتاب R. Blachère و J. Sauvaget المعنون: "

¹² "Règles pour éditions et traductions de textes arabes." ولا شك أن إعادة دراسة بعض هذه الترجمات على ضوء الخطوات الهامة التي قطعها علم الترجمة مؤخراً ستحقق إضافات علمية هامة جداً.

على من يريد أن يترجم نصاً تراثياً أن يتهيأ لذلك من خلال دراسة متأنية لمادته تشمل المضمون واللغة والسياق الفكري والاجتماعي والثقافي، ثم لحياة كاتبه: بيئته وعصره، مؤلفاته، مذهبه الفكري والأدبي، ثم الجمهور الذي اتجه إليه المؤلف مع تتبع الغاية التي لأجلها أعد النص. كما يقوم بالاطلاع على أهم الدراسات التي تناولت النص من أجل الإحاطة بمادته بصورة مثلى.

ولا بد بعد ذلك من تحديد وجهة الترجمة، الغاية منها، الجمهور المستهدف بها من أجل رسم سياسة ترجمة مناسبة تراعي المفردة الملائمة، مستوى العبارة ونوع الأسلوب.

وفي ترجمته لرسالة "أيها الولد"، وهو نص كُتب منذ عشرة قرون نجح الدكتور توفيق الصباغ في تزويد قراء الفرنسية بنسخة لطيفة تعبر عن محتوى الرسالة بصورة مرضية بشكل عام، إلا أنه يؤخذ على المترجم إهماله لبعض الخصوصيات العقديّة واللغوية، واعتماده منهجية غير واضحة الأمر الذي أدى لظهور ثغرات عديدة كان بالإمكان تلافيها.

وأمام الأشواط التي قطعها علم الترجمة أدعو إلى إعادة ترجمة الرسالة وفق المعايير الترجمة الحديثة من أجل إيصال نصائح الغزالي وتوجيهاته إلى محبي الفكر الإنساني العالمي وقرائه بالفرنسية.

¹² Paris, Société d'édition « Les belles lettres », 95, boulevard Raspail, 1953.